(٨)

التنظير العنصرى للإحياء القومى القبطى

وعلى الجانب الفكرى . . والتنظير للمشروع الطائفى العنصرى الانعزالى للكنيسة الأرثوذكسية المصرية . . بدأ التنظير للفصام مع هوية مصر العربية والإسلامية، فبعد إجماع الأمة ـ مسلمين ونصارى ويهود وعلمانيين ـ على النص ـ فى دستور سنة ١٩٢٣م ـ على أن دين الدولة المصرية هو الإسلام، وأن لغتها هى العربية . . وبعد إعلان مكرم عبيد باشا [١٨٨٩ ـ ١٩٦١م] عن عروبة مصر والمصريين، حتى قبل قيام جامعة الدولة العربية . . وقوله سنة ١٩٣٩م:

«المصريون عرب . . والوحدة العربية من أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى . . إنها حقيقة قائمة وموجودة، لكنها فى حاجة إلى تنظيم لتصير البلاد العربية كتلة واحدة، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة . . »[(١)].

وإعلانه عن أن الإسلام هو هوية مصر الحضارية، بالنسبة لكل أبنائها وأديانها . . وقوله:

«نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا . اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا . واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين . . »[(٢)].

وبعد موافقة ٦٣٪ من مسيحى مصر على تطبيق الشريعة الإسلامية ـ بما فيها الحدود ـ فى المنظومة القانونية المصرية سنة ١٩٨٥م[(٣)].

---

(١) مجلة [الهلال] عدد إبريل سنة ١٩٣٩م.

(٢) صحيفة [الوفد] عدد ٢١ ـ ١ ـ ١٩٣٩م.

(٣) [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] ص ٨٤ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.

بعد هذه الحقائق الشاهدة على الوحدة الرطنية المصرية ـ على أسس قومية وحضارية ـ وجدنا النزعة العنصرية الطائفية الانعزالية ـ التى تبلورت عقب الحرب العالمية الثانية . . والتى أعلنت عنها (جماعة الأمة القبطية) ـ فى ظلال نجاح المشروع العنصرى الصهيونى ـ . . وجدنا هذه النزعة تجد طريقها إلى كتابات القيادات الكهنوتية فى الكنيسة الأرثوذكسية، على النحو الذى يتحدث عن **«مسألة ومشكلة قومية قبطية» . . وليس «مطالب لأقلية مسيحية»، هى جزء أصيل فى نسيج الشعب المصرى . .**

* فيكتب الأنبا غريغويوس [١٩١٩ ـ ٢٠٠٢م] ـ الرجل الثانى فى الكنيسة . . وأسقف التعليم والبحث العلمى والدراسات العليا ـ فيقول :

«إن اللغة القبطية هى لغتنا . . وهى تراث الماضى، ورباط الحاضر، وهى من أعظم الدعائم التى يستند إليها كيان الشعب المسيحى . . وهى السور الذى يحمينا من المستعمر الدخيل»!![١] .

فيتحدث عن لغة «مختلفة» عن اللغة القومية لمصر . . وعن ثقافة مختلفة عن الثقافة العربية . . وعن شعب مسيحى، متميز عن الشعب المصرى، وعن المسلمين المصريين ـ أى ٩٥٪ من المصريين ـ كمستعمر دخيل!! . . أى يفصح ـ باسم الكنيسة ـ عن تبنى هذه الكنيسة للمشروع القومى القبطى الذى أعلنته (جماعة الأمة القبطية) سنة ١٩٥٢م! . .

* ويدعو الدكتور كمال فريد إسحاق ـ أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية، التابع للكنيسة ـ **«إلى أن تكون اللغة القبطية هى اللغة القومية لمصر» ـ [!!!] ـ وليست اللغة العربية . .**[٢] .

* أما عميد هذا المعهد ـ معهد الدراسات القبطية ـ الدكتور رسمى عبد الملك ـ فيدعو إلى :

«أن يكون محو أمية الشعب المصرى باللغة القبطية، لا العربية»!! . . ويعلن عن مخطط إحلال اللغة القبطية محل اللغة العربية . . وكيف أنه «يوجد فى كل كنيسة فصل

(١) غريغوريوس ـ مقال عنوانه : «اللغة القبطية والألحان القبطية» ـ صحيفة «وطنى» فى ٣٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٠م.
(٢) صحيفة «الدستور» فى ٢ ـ ٧ ـ ٢٠٠٨م.

لتعليم اللغة القبطية»!! . . أى أننا ـ فى مصر ـ بإزاء نظام تعليمى، فيه آلاف الفصول الدراسية التى تعمل الكنيسة ـ بواسطتها ـ على تغيير اللغة القومية ـ التى نص عليها الدستور . . ومثلت ركنًا من أركان ثوابت الهوية المصرية منذ نحو أربعة عشر قرنًا . . والتى اختارها الشعب المصرى اختيارًا حرًا!! . .

كما أعلن عميد معهد الدراسات القبطية ـ هذا ـ أن المجال سيفتح لرسائل الماچستير والدكتوراه فى اللغة القبطية، ولعمل إحصائيات حول المتحدثين باللغة القبطية فى تعاملهم اليومى داخل المنزل . . وأكد وجود أعداد كبيرة تقبل على تعلم اللغة القبطية، وعائلات لا تتحدث فى منازلها إلا باللغة القبطية»!![1] .

أى أننا أمام انقلاب ـ فكرى وعملى ـ على الهوية العربية لمصر . . بلورته (جماعة الأمة القبطية) سنة ١٩٥٢م . . وترعاه وتنفذه الكنيسة الأرثوذكسية بعد استيلاء التيار الطائفى العنصرى الانعزالى على قيادتها فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م .

* وإذا كان الأنبا مرقس ـ المتحدث الرسمى باسم الكنيسة الأرثوذكسية . . وعضو المجمع المقدس . . ورئيس لجنة الإعلام بهذا المجمع أى «وزير إعلام الكنيسة» . . وأسقف شبرا الخيمة ـ قد أعلن :

«إن مصر هى بلد الأقباط، وهم أصحابها»!![2] . . فإنه قد طالب بأن يكون أول شهر توت ـ عيد النيروز ـ الفرعونى ـ إجازة رسمية للدولة المصرية، باعتباره عيد رأس السنة الفرعونية ـ[3] وهو ـ للتذكرة ـ اليوم الذى أعلن فيه عن قيام (جماعة الأمة القبطية) سنة ١٩٥٢م ـ التى أعلنت أن قضية المسيحيين ـ فى مصر ـ هى «قضية قومية» ـ قضية لغة . . وثقافة . . وعنصر . . . وأرض مغتصبة منذ أربعة عشر قرنًا ـ!! .

* وإذا كانت أدبيات الشعب المصرى تتحدث عن «الشعب المصرى» و«الأمة العربية» و«الحضارة الإسلامية» . . أى عن الوطنية والعروبة والإسلام باعتبارها هوية

---

(١) المرجع السابق . نفس التاريخ .

(٢) صحيفة «المصرى اليوم» فى ١٩ ـ ١ ـ ٢٠٠٧م .

(٣) صحيفة «المصرى اليوم» فى ٢٥ ـ ٨ ـ ٢٠٠٨م ـ [وفى نفس التاريخ ـ أول توت سنة ١٧٢٦ق ـ ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠٨م ـ عقدت الكنيسة «مؤتمر القبطيات» ـ الذى شاركت فيه أبحاث إسرائيلية ـ ومنعت الإعلاميين من حضور جلسات المؤتمر ومناقشاته، «لأن المناقشات الدائرة بداخل المؤتمر يمكن أن يقال فيها أشياء تفسر إعلاميًا بشكل طائفى»؟!! ـ صحيفة «المصرى اليوم» فى ١٨ سبتمبر سنة ٢٠٠٨م ـ .

مصر والمصريين جميعًا ـ بكل دياناتهم ـ . . فإن أدبيات الكنيسة الأرثوذكسية دائمة الاستخدام لمصطلحات :

«الشعب القبطى» و«الأمة القبطية» و«شعب الكنيسة» و«الشعب المسيحى»! . .

حتى لقد أعلن الأنبا توماس ـ عضو المجمع المقدس . . وأسقف القوصية ـ فى محاضرته بمعهد «هديسون» الأمريكى بواشنطون ـ فى ١٨ يوليو سنة ٢٠٠٨م ـ وهو المعهد التابع للمحافظين الأمريكيين الجدد، واليمين الدينى ـ أعلن الأنبا توماس على العالم . . وأمام سمع الكنيسة وبصرها ـ أعلن :

ـ «أن الشخص القبطى يشعر بالإهانة إذا قلت له إنك عربى»!

ـ «وأن اللغة القبطية هى اللغة الأم لمصر!

ـ «وأن الأقباط يعانون ويحاربون خطرى التعريب والأسلمة»!

ـ «وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت، ووجدوا أنفسهم مسئولين عن حمل ثقافتهم والمحاربة من أجلها حتى يأتى الوقت الذى يحدث فيه انفتاح وتعود دولتنا لجذورها القبطية . . وحتى يأتى هذا الوقت، فإن الكنيسة تقوم بدور الحاضنة للحفاظ على هذا التراث القومى المختلف»!

ـ «وأن المسلمين قد خانو الأقباط منذ الاحتلال العربى لمصر»![1] .

وهكذا أفصح هذا الأسقف ـ فى هذه المحاضرة ـ ربما أكثر من غيره ـ عن أن القضية هى قضية قومية . . وليست قضية مطالب لأقلية دينية . . فهى ـ كما جاء فى المحاضرة التى صمتت عنها الكنيسة صمت الرضى ـ بل ودافع عنها رموز كبار فيها ـ هى ذات القضية التى أعلنت عنها (جماعة الأمة القبطية) سنة ١٩٥٢م . . **قضية : لغة . . وثقافة . . وعنصر . . ووطن محتل وأرض مغتصبة منذ أربعة عشر قرنًا!! . .**

لذلك، وجب التوقف أمام أهم الدعاوى التى جاءت بهذه المحاضرة : [صيحة الأقباط ضد التعريب والأسلمة]! . .

---

(١) صحف : «الدستور» و«المصرى اليوم» و«البديل» ـ فى ٢٠ ـ ٧ ـ ٢٠٠٨م نقلاً عن وكالة «أمريكا إن آربيك» . وانظر ـ كذلك ـ ترجمة المحاضرة ـ فى «الدستور» فى ١٣ ـ ٨ ـ ٢٠٠٨م ـ وأيضًا ترجمة محمود الفرعونى لهذه المحاضرة على موقع «مصريون ضد التمييز الدينى» على شبكة المعلومات العالمية .

فنحن ـ بإزاء الدعاوى التى جاءت بهذه المحاضرة ـ لسنا فقط أمام انقلاب على الانتماء للعربية ـ اللغة القومية لمصر ـ وعلى الدستور والعقد الاجتماعى والحضارى الذى توافق عليه المصريون والتزموا به منذ قرون ـ أى أمام «نزعة خوارجية» على ثوابت العقد الذى ارتضته الجماعة الوطنيةالمصرية . . وإنما نجد أنفسنا ـ علاوة على كل ذلك ـ أمام انقلاب على الحقائق العلمية التى تعارف عليها علماء المصريات واللغات فى مصر والعالم أجمع . .

*** فليس صحيحًا أن اللغة القبطية ـ التى جاء الفتح الإسلامى فوجدها بمصر ـ هى اللغة الأم للمصريين . . وإنما هى المسخ الهجين الذى مثل التغريب اللغوى الذى أحدثه الغزو الإغريقى فى لغة المصريين . فكانت أثرًا من آثار هذا التغريب اللغوى، ولم تكن خالصة الوطنية . . فضلاً عن أنها كانت المرحلة الرابعة من المراحل الكبرى لتطور اللغة المصرية . . ولم تكن اللغة الأم بحال من الأحوال . . ذلك أن اللغة المصرية القديمة قد مرت بمراحل أساسية أربعة، قبل مرحلة سيادة اللغة العربية، فى مصر . . وهذه المراحل هى :**

١ ـ مرحلة الهيروغليفية : وهى اللغة المقدسة، المكتوبة بالصور . . والتى تعتبر اللغة المكتوبة الأم للمصريين ـ فى التاريخ المعروف ـ والتى عبروا بها عن الكلام الشفهى . . ولقد ظلت أداة الكتابة على المبانى الأثرية بعد أن حلت الكتابات المختصرة محلها فى الحياة العامة، بحيث لم يعد يفهمها إلا الكهنة .

٢ ـ مرحلة الهيراطيقية : وهى الكتابة المختصرة التى حلت محل الهيروغليفية ـ التى ظلت خاصة بالكتابة على المبانى الأثرية ـ . . ولقد استعمل الخط الهيراطيقى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م .

٣ ـ مرحلة الديموطيقية : وهى اللغة المصرية الدارجة، ذات الخط المختصر الذى استعمله المصريون القدماء من حوالى سنة ٧٠٠ ق . م حتى القرن الثالث الميلادى . وخط هذه الديموطيقية هو اختصار للهيروغليفية . . وتطور للخط الهيراطيقى الذى استعمل حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . . وهذه الديموطيقية هى التى وردت على حجر رشيد تالية للهيروغليفية .

٤ ـ مرحلة اللغة القبطية : وهى لهجة أكثر منها لغة . . تطورت عن اللغة الدارجة

الديموطيقية . . ومثلت آخر مراحل اللغة المصرية القديمة ـ الهيروغليفية ـ **كما مثلت مرحلة تغريب اللغة المصرية، حيث زاحمتها اللغة اليونانية الغازية . . فمنذ حكم الملوك البطالمة الإغريق [٣٢٣ ـ ٣٠ ق . م] غدت اللغة المصرية تكتب بحروف يونانية، ولم يبق من حروفها المصرية سوى سبعة أحرف لم يجدو لها نظيرًا فى الأحرف اليونانية . . كما استخدمت فى قواعدها قواعد اللغة اليونانية . . ودخلها الكثير من الكلمات والمصطلحات اليونانية . . فغدت «هجينًا» غير خالصة الوطنية المصرية . .**[1] **وذلك فضلاً عن أنها لم تكن اللغة المصرية الأم بحال من الأحوال .**

ولذلك، فإن هذه الدعوة إلى إحلال اللغة القبطية محل العربية ـ والحديث عن أنها هى «اللغة الأم» لمصر والمصريين ـ هو «كذب» فى العلم، كما هو «خروج» عن ثوابت الهوية والحضارة والتاريخ بالنسبة لكل المصريين .

ونحن نسأل الدعاة إلى هذا الانقلاب القومى والحضارى ـ بمن فيهم أصحاب الأصوات العالية فى المهاجر ـ :

ـ أية فوضى يمكن أن تحدث فى العالم لو انتشرت الدعوات لعودة الأمم والشعوب إلى ماضيها السحيق الذى تجاوزه التاريخ؟! .

ـ ولم لا تدعون الأمريكان ـ الذين يحتضنون دعاواكم، لحاجة فى فى نفس يعقوب ـ إلى أن يعودوا إلى اللغة الأم لأمريكا ـ لغة الهنود الحمر ـ خصوصًا مع قرب العهد بسيادتها فى تلك البلاد؟! . . وكذلك الأمر فى أمريكا الجنوبية . . واستراليا . . ونيوزيلانده؟! . . إلخ . . إلخ . .

أم أن أمر هذه الدعوة الشاذة خاص ـ عندكم ـ بالكيد للعروبة والإسلام؟! ـ اللذين اعتنقهما المصريون جميعًا ـ المسلمون منهم والمسيحيون واليهود ـ؟! .

لقد غيرت كل شعوب الدنيا ـ تقريبًا ـ لغاتها أو أديانها . . أو غيرتهما معًا . . فهل يجوز لعاقل أن يدعو اليوم كل الجماعات اللغوية ـ والتى تبلغ ألف جماعة لغوية ـ إلى العودة إلى اللغات الأم، التى تكلمت بها فى تاريخها القديم؟! . .

---

(١) [الموسوعة الأثرية العالمية] إشراف : ليونارد كوتريل ـ ترجمة : د. محمد عبد القادر محمد، د. زكى اسكندر . مراجعة : د. عبد المنعم أبو بكر . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م . وانظر ـ كذلك ـ : د. أحمد عثمان ـ مجلة [الهلال] عدد يونيو سنة ١٩٩٥م .

ثم . . ما هو المفهوم الدقيق لمصطلح «الأم» و«القديم»؟! . . وهل تقودنا مثل هذه الدعوات ـ المجنونة ـ إلى السعى للعودة إلى اللغة الأم ـ الحقيقية ـ لغة آدم عليه السلام ؟! . .

إن إيطاليا قد غيرت لغتها ودينها . . وكذلك صنعت فرنسا . . وألمانيا . . وإسبانيا . . وهولندا . . وبلجيكا . . وكذلك الشعوب فى أمريكا الشمالية والجنوبية . . وفى آسيا وإفريقيا ـ . . فهل يجوز لأقلية ـ أو حتى أغلبية ـ فى شعب من هذه الشعوب أن تدعو للانقلاب على الواقع والهوية والذاتية اللغويةوالقومية والحضارية، وتطلب الهجرة إلى مكونات التاريخ السحيق؟!

إن فارقًا كبيرًا بين الدراسات الأكاديمية المتخصصة للغات القديمة ـ لأسباب تاريخية ومعرفية ـ وبين الدعوة إلى الانقلاب على الحاضر ـ الذى غدى هوية . . وقومية . . وحضارة . . وثقافة ـ والهجرة إلى «القديم»، الذى غيرته وتجاوزته كل هذه الشعوب .

* ثم . . هل صحيح ما قاله الأنبا توماس ـ فى محاضرته ـ :

«إن مصر كانت تدعى دائمًا «إجيبتوس»؟ . . وأن العرب لم يحسنوا نطق اسمها، فمسوها «إجيبت» أى قبط؟!» .

ـ إن هذا الذى قاله الأنبا توماس هو عين الجهل والكذب . . فمصر كان اسمها «مصر» دائمًا . . هكذا جاء اسمها فى العهد القديم، وفى العهد الجديد، وفى القرآن الكريم ـ قبل الفتح الإسلامى لمصر . . بل وقبل الاحتلال الإغريقى لها ـ فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ . .

ولقد ذكرت باسمها ـ مصر ـ فى كتاب يوحنا النقيوسى ـ وهو شاهد عيان على الفتح الإسلامى لمصر ـ وفى كتاب [فتوح مصر وأخبارها] لابن عبد الحكم [٢٥٧هـ ـ ٨٧٠م] . . وكذلك فى كل كتب التاريخ العربية والإسلامية، التى أفردت بابًا ثابتًا لـ «فضائل مصر» خصت به كنانة الله فى أرضه .

وإذا جاز للأنبا توماس أن يجهل كتب التاريخ المصرى ـ وهذا غير جائز ـ فكيف تأتى له أن يجهل كتابه المقدس ـ بعهديه القديم والجديد ـ ؟!

لقد ورد اسم مصر، ومصرايم، ومصرى، ومصريات، ومصرية، ومصريون، ومصريين، فى الكتب المقدسة عند هذا الأسقف ـ العهدين القديم والجديد ـ أكثر من سبعمائة مرة![1].

* كذلك، قال الأنبا توماس ـ عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية ـ فى محاضرته:

«لن أقبل أن أكون عربيًا.. فأنا لست عربيًا عرقًا.. وإذا توجهت إلى قبطى وقلت له: إنه عربى، فإن هذه تعتبر إهانة»!![2].

ـ وهذا فكر عنصرى، يتحدث عن العرق ـ حديث الفاشية والنازية ـ والسؤال: **هل هذا الأنبا مسيحى؟!.. وهل لفكره هذا أدنى علاقة بالمسيحية؟!.. أم أن النزعة العنصرية قد قلبت حتى المسيحية عند هذه الشرذمة الطائفية الانعزالية؟!..**

إنه يتناسى أن الحديث عن «النقاء العرقى» لأى جماعة بشرية هو محض خرافة ـ ناهيك عن تناقضه مع كل ألوان الإيمان الدينى ـ سماويًا كان أم وضعيا هذا الإيمان ـ..

كما يتجاهل ـ هذا الأنبا ـ أن مصر حكمها الإغريق والرومان والبيزنطيون عشرة قرون، اختلطت فيها الدماء والأنساب والأعراق والسلالات.. ولو قرأ ـ هذا الأنبا ـ تاريخ الحملة الفرنسية، والغرام الذى قام بين المعلم يعقوب حنا وبين الجنرال «ديزيه».. و«الانفتاح» الذى تحدث عنه الجبرتى بين نساء بعض الطوائف وبين جنود الحملة الفرنسية!.. لربما انصرف عن هذا الحديث عن النقاء العرقى[3]:..

---

(١) انظر فهرس الأعلام فى [فهرس الكتاب المقدس] ص ٦٧٦، ٦٧٧ طبعة بيروت سنة ٢٠٠٥م.

(٢) ولقد أيد الأنبا مرقس ـ «وزير إعلام الكنيسة» ـ وعضو المجمع المقدس الأنبا توماس فى نفى عروبة المصريين، وقال: «نحن بالفعل لسنا عربًا، ولكننا مصريون» ـ فانطلق من المفاهيم العرقية للعروبة والمصرية ـ انظر: صحيفة «المصرى اليوم» فى ٢١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٨م. كما أيد المحاضرة رأس الكنيسة أيضا!.

(٣) فى دراسة ـ للمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ عن الأصول العرقية للشعب المصرى ـ تقول هذه الدراسة: إن ٦٪ من المصريين عرب جاءوا مع الفتح و٢٪ قبائل بربرية جاءت مع الفاطميين و٢٪ بدو من سكان البلاد الأصليين و٢٪ بوهيميون و٨٨٪ لعائلات مسيحية تحول ٩٠٪ منهم إلى الإسلام ـ انظر: د. كامل عبد الفتاح بحيرى [التطور الفكرى لدى جماعات العنف الدينية فى مصر] ص ٢٣٠ طبعة شبين الكوم ـ سنة ٢٠٠٨م.

ثم . . هل المسلمون المصريون وافدون على مصر من شبه الجزيرة العربية ـ من نسل عدنان وقحطان؟! إن الدراسة «الديموجرافية» ـ التى صدرت عن المعهد الوطنى للدراسات الديموجرافية بباريس ـ تؤكد أن سكان شبه الجزيرة العربية إبان الفتح الإسلامى لم يتعدوا المليون . . وأن سكان الدولة التى أسسها الفتح الإسلامى ـ فى مصر والشام والعراق وفارس ـ قد بلغوا ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ ـ وإذا أضيف إليهم سكان شمالى إفريقيا بلغ سكان تلك الدولة ـ يومئذ ـ نحو ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ ـ ومن ثم فلو هاجر كل عرب شبه الجزيرة ـ المليون ـ لما غيروا من التركيبة الديموجرافية للبلاد التى فتحها المسلمون![1].

إذن . . فالعرب فى مصر هم المصريون الذين تعربوا لغويًا . . وليسوا وافدين من خارج مصر . . وكذلك حال العرب فى كل البلاد التى اختار أهلها التعريب اللغوى والثقافى والحضارى . .

ولو قرأ ـ هذا الأنبا ـ ما كتبه الأسقف يوحنا النقيوسى **لعلم أن أكثر من نصف الشعب المصرى ـ عند الفتح ـ قد بادر إلى الدخول فى الإسلام قبل تمام الفتح وقبل دخول عمرو بن العاص [٥٠ ق هـ ـ ٤٣هـ ـ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م] إلى الإسكندرية . . فالنصارى الموحدون ـ أتباع آريوس [٢٦٥ ـ ٣٣٦م] الذين كانوا يؤمنون ـ كما يقول يوحنا النقيوسى ـ «أن المسيح مخلوق» . . وكذلك المصريون الذين كانوا على الديانة الوثنية القديمة . . كل هؤلاء المصريين دخلوا فى الإسلام . . والنقيوسى يوجه إليهم الانتقادات، ويصب عليهم اللعنات! . . فالمصريون المسلمون هم ـ كالذين ظلوا على نصرانيتهم ـ أحفاد الفراعنة . . والجميع قد تعرب لغة وثقافة بعد ذلك . . وبالتدريج . .**

وإذا كانت المسيحية ترفض التمييز بين الناس على أساس العرق والدم . . فإن الإسلام قد بلغ القمة فى ذلك، عندما أكد أن الناس جميعًا قد خلقوا من نفس واحدة . . وأن البشر قاطبة مرجعهم لآدم عليه السلام . . كما أكد رسول الإسلام ﷺ أن دعوى الجنس والعرق هى دعوى الجاهلية . . وأنها مُنتنة . . وأن العروبة ليست عرقًا وإنما هى اللسان: «ليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هى اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربى» ـ[2].

(١) فيليب فارج، يوسف كرياج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥، ٤٤ ترجمة: بشير السباعى. طبعة دار سينا ـ القاهرة سنة ١٩٩٤م.

(٢) رواه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

* كما يقول هذا الأسقف :

«لقد قام بعض الناس، لأسباب معينة ـ الضرائب ـ أو الضغوط ـ أو الطموحات ـ بالتحول إلى الإسلام».

ـ وهو ـ بهذا القول ـ يتجاهل حقائق التاريخ ـ وهى صلبة عنيدة! ـ . .

فمصر عند الفتح الإسلامى ـ الذى حررها وحرر نصرانيتها من القهر الرومانى والبيزنطى ـ لم تكن كلها مسيحية أرثوذكسية . . وأنما كانت خارطتها الدينية تشمل خمس ديانات :

١ ـ اليهودية .

٢ ـ النصرانية الآريوسية الموحدة، والتى تقول عن المسيح عليه السلام إنه «مخلوق» ـ كما نص على ذلك يوحنا النقيوسى فى تاريخه ـ . .

٣ ـ والديانة اليونانية القديمة ـ الوثنية . . وفلسفتها . .

٤ ـ والمسيحية الكاثوليكية الرومانية ـ مذهب المستعمرين البيزنطيين .

٥ ـ والمسيحية الأرثوذكسية ـ التى كانت محظورة، بلا شرعية، ولا كنائس ولا أديرة ـ حتى حررها الفتح الإسلامى . . وحرر بطركها بنيامين [٣٩هـ ٦٥٩م] وحرر كنائسها وأديرتها . .

وإذا كان المسيحيون الكاثوليك قد رحلوا ـ بعد الفتح ـ مع الجيش البيزنطى . . وإذا كان اليهود المصريون قد ظلوا ـ فى جملتهم ـ على يهوديتهم . . فإن النصارى الآريوسيين ـ الموحدين ـ . . وكذلك المصريون الوثنيون ـ الذين عانوا من اضطهاد النصارى لهم ـ قد دخلوا الإسلام بمجرد بدء الفتح الإسلامى . . وحتى قبل فتح المسلمين للإسكندرية .

ويؤكد النقيوسى هذه الحقيقة ـ حقيقة أن الشعب المصرى لم يكن كله أرثوذكسيًا، عندما يشير إلى الصراعات بين المكونات الدينية لهذا الشعب، قبل الفتح وأثناءه ـ الصراعات بين اليهود والنصارى . . ومناصرة اليهود للفتح الإسلامى . . والصراعات الأرثوذكسية الوثنية . . والصراعات العقدية بين أهل الوجه البحرى . . ومحاربة أهل مصر لأهل الوجه البحرى . . كما يتحدث عن انضام الوثنيين ـ الذين «كانوا يكرهون المسيحيين» . . إلى الجيش الإسلامى، والمحاربة فى صفوفه[1] .

---

(١) يوحنا النقيوسى [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى] ص ١٢٥، ١٢٩، ٢٠٦ ـ ٢٠٩، ٢١٣، ٢٢٣ ترجمة ودراسة وتعليق د. عمر صابر عبد الجليل ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

ويصادق العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م] على شهادة شاهد العيان الأسقف يوحنا النقيوسى، فيقول:

«وليس هناك شاهد من الشواهد على أن تحول القبط عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين. بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط ـ [أى المصريين] ـ إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية ـ حاضرة مصر يومئذ ـ لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة»[1].

وهذا التنوع فى الخريطة الدينية لمصر ـ عند الفتح ـ والذى يجعل الأرثوذكس ـ الذين كانوا مضطهدين دينيًا ـ يمثلون أقل من نصف تعداد الشعب المصرى يومئذ ـ هذا التنوع الدينى هو الذى يفسر الحقيقة البالغة الأهمية التى تقول:

إن الدولة الإسلامية ـ التى امتدت من المغرب إلى فارس ـ والتى ضمت قرابة الأربعين مليونًا من السكان ـ قد ظلت نسبة المسلمين فيها بعد قرن من الفتح الإسلامى عند حدود ٢٠٪ من السكان.. اللهم إلا مصر، التى كانت أسرع البلاد دخولاً فى الإسلام؛ لأن أكثر من نصف سكانها ـ النصارى الموحدون.. والوثنيون ـ قد اعتنق الإسلام مع بداية الفتح الإسلامى.. بينما ظل الأرثوذكس والأقلية اليهودية على دياناتهم..

لقد كان تعداد مصر ـ عند الفتح ـ [سنة ٢٠هـ سنة ٦٤١م] ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة.

وفى نهاية خلافة معاوية بن أبى سفيان [٢٠ ق هـ ـ ٦٠هـ / ٦٠٣ ـ ٦٨٠م] ـ أى بعد نحو نصف قرن من الفتح الإسلامى ـ كان قرابة نصف المصريين على نصرانيتهم ـ وهم الأرثوذكس الذين تمرسوا فى الصمود على عقيدتهم إبان الاضطهاد الرومانى.. والذين أتاح لهم الفتح الإسلامى حرية دينية لم ينعموا بها من قبل ـ.

(١) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣، ١٢٤ ـ ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م. [ويؤكد «بتلر» على هذه الحقيقة ـ حقيقة أن النصارى المصريين الموحدين وجدوا فى الإسلام النصرانية الحقيقية ـ فيقول: «لقد وجدوا فى الإسلام المسيحية الحقة التى بشر بها المسيح والحواريون، ومن ثم لم يحسوا أنهم يخونون المسيح باعتناقهم الإسلام» [فتح العرب لمصر] ص ٣٨٧ ـ ترجمة: محمد فريد أبو حديد ـ طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م.

وفى نهاية عهد هارون الرشيد [١٤٩ ـ ١٩٣هـ ـ ٧٦٦ ـ ٨٠٩م] ـ أى بعد مرور قرابة القرنين من الزمان على تاريخ الفتح الإسلامى ـ كان تعداد غير المسلمين بمصر ـ نصارى ويهود ـ ٦٥٠,٠٠٠ نسمة ـ أى نحو ربع السكان، البالغ عددهم يومئذ ٢,٦٧١,٠٠٠ نسمة ـ أى أن قطاعات من النصارى الأرثوذكس ـ بعد التعرف على الإسلام ـ قد بدأوا يتحولون إليه..

وحتى القرن التاسع الميلادى ـ أى بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامى لمصر ـ كانت نسبة غير المسلمين فى سكانها من النصارى واليهود ـ ٢٠٪ من هؤلاء السكان[١].

تلك هى حقائق التحولات الدينية التى جعلت أغلبية الشعب المصرى تعتنق الإسلام منذ اللحظات الأولى للفتح الإسلامى.. والتى تجعل حديث الأنبا توماس عن «الضرائب.. والضغوط.. والطموحات» التى كانت سببًا فى إسلام المصريين حديث «خرافة.. جاهلة» و«جهالة.. خرافية»..

فشهادة العلامة سير توماس أرنولد تقول:

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوربا قبل الأزمنة الحديثة»[٢].

وشهادة المستشرق الألمانى الحجة آدم متز [١٨٦٩ ـ ١٩١٧م] تقول:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»[٣].

وقبلهما كانت شهادة الأسقف يوحنا النقيوسى ـ الأسقف الأرثوذكسى.. شاهد العيان على الفتح الإسلامى ـ التى تقول:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدى الرومان، وتركنا العرب

---

(١) [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٤٦، ٤٧، ٢٥.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢٩، ٧٣٠.

(٣) [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] جـ ١ ص ١٠٥. ترجمة: د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م.

نمارس عقائد بحرية . . ولم يأخذوا شيئًا من مال الكنائس، وحافظوا عليها طوال الأيام، وعشنا فى سلام»[1] .

تلك هى حقيقة إسلام الشعب المصرى . . وسبقه وتسابقه إلى الإسلام . .

وحتى الأرثوذكس ـ الذين ينتمى إليهم الأنبا توماس وأمثاله ـ فإن من الإهانة لهم أن يقال عنهم إنهم قد تحولوا إلى الإسلام لقاء دراهم معدودة كان المسلم يدفع أضعاف أضعافها فى الزكاة . . لقد صمد هؤلاء الأرثوذكس قرونًا، وتمسكوا بعقيدتهم حتى عندما كانوا يقذفون بسببها إلى الأسود والسباع . . الأمر الذى يجعل من الإهانة لهم ـ ولحقائق التاريخ ـ أن يقال إنهم قد تركوا عقيدتهم بسبب الضرائب أو الضغوط أو الطموحات ! . .

ولكنه التعصب الأعمى الذى يقود أصحابه إلى الإساءة حتى إلى الذات . . أو الحب الجاهل . . حب الدُّبة التى قتلت صاحبها من فرط الغرام ! . .

لقد أرجع العلماء واللاهوتيون الأوربيون الكبار ـ ومنهم العلامة «كيتانى ـ ليون Caetani [١٨٩٦ ـ ١٩٢٦م] تحول نصارى الشرق نحو الإسلام إلى :

«وضوح التوحيد الإسلامى وبساطته وعمقه ونقائه، عندما قورن بالسفسطة المذهبية والتعقيدات العويصة التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى، الأمر الذى أدى إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها . فلما أهلت أنباء الوحى الإسلامى من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية، التى اختلطت بالغش، والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد . . وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى العرب . .»[2] .

تلك هى حقائق التاريخ . . وشهادات العلم والعلماء ـ من المسيحيين وليس من المسلمين ! ـ . . .

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى] ص ٢٠١، ٢٢٠ . ود. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص٦٢ . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٨٩ ـ ٩١ .

* كما يقول هذا الأسقف ـ فى تعليل أسباب التوتر الطائفى فى مصر :

«إن الأصولية قد بدأت فى مصر منذ السبعينيات . . والقادة الآن هم نتاج هذا الاتجاه» .

ـ ونحن نسأل :

أيهما أسبق ، ما يسمى بأصولية السبعينيات؟ . . أم الطائفية العنصرية الانعزالية ، التى بدأت منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م . . ثم برزت ـ فى ظل غواية الاستعمار الإنجليزى ـ بالمؤتمر القبطى سنة ١٩١١م؟ . . ثم عادت للبروز ـ فى مواكبة المشروع الصهيونى ـ بجماعة نظير جيد سنة ١٩٤٨م؟ . . وجماعة الأمة القبطية سنة ١٩٥٢م؟ . . ومسلسل الفتنة الطائفية والصدام مع الدولة ، الذى قادته الكنيسة منذ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م؟! . .

إننا أمام تاريخ قديم لهذه النزعة الطائفية العنصرية الانعزالية ، التى افتعلت «مشكلة قومية للأقباط» ، لتفتيت مصر ، والانقلاب على ثوابت الهوية والحضارة والتاريخ . .

ولا علاقة لشىء من ذلك يما يسمى بالأصولية ـ التى يحرم أهلها ـ فى مصر ـ من أبسط الحقوق والحريات! ـ . . .

ثم . . أليست الأرثوذكسية هى قمة الأصولية ـ بالمعنى السلبى ـ الذى يتحدث عنه الغربيون والمسيحيون ـ ومنهم الأنبا توماس؟! . . فمن هم ـ بهذا المعنى ـ الأصوليون الحقيقيون؟! . .

* وبعد كل هذه المغالطات والجهالات يعترف الأنبا توماس ـ فى محاضرته ـ :

«بأن عقلية مصر قد تحولت بالكامل إلى عربية وإسلامية . . وإذا تسنى لك زيارة مصر فلا تجد فرقًا بين مسلم ومسيحى ، حيث يتقابل الناس ويعاملون بعضهم بالمودة والمحبة فى الشارع والمواصلات والمدارس . . لكنك على الجانب الآخر ستجد أشخاصًا آخرين لهم مواقف أخرى»!

ـ إذن . . فالدعوة العنصرية ـ دعوة النكوص إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا ـ هى دعوة للخروج على عقلية مصر كلها ، وإلى الصدام مع ذاتيتها الكاملة . وهى دعوة تريد شق

صف شعب **«لا فرق فيه بين مسلم ومسيحى»**، لحساب بعض الأشخاص الآخرين!! ـ باعتراف الأنبا توماس!.. الحائز على جائزة «مركز الحرية الدينية» الصهيونى ـ بمعهد هديسون ـ اليمينى ـ فى أمريكا الإمبريالية سنة ١٩٩٢م؟!..

***

إن العروبة ـ فى مصر ـ هى خيار الشعب المصرى، بكل دياناته.. ولقد غدت هذه العروبة ثقافة الأمة كلها، والرابطة التى تربط مصر بمحيطها العربى الكبير.. فهى خيار وطنى.. ورابط قومى.. ومقوم من مقومات الأمن المصرى.

وإن الإسلام ـ فى مصر ـ هو خيار دينى لأكثر من ٩٤٪ من المصريين.. وهو خيار حضارى لجميع المصريين ـ المسيحيين منهم والمسلمين ـ..

وإذا كانت العروبة والإسلام وافدين على مصر منذ أربعة عشر قرنًا.. فكذلك المسيحية وافدة على مصر.. و«الأقدمية» لن يستفيد منها سوى عبدة العجل أبيس!!

* وأخيرًا.. يقول هذا الأسقف ـ فى نهاية محاضرته ـ أو «استغاثته الأمريكانية!»:

«إنه أمر مقلق أن أعدادًا كبيرة من ا لمسيحيين تترك مصر والشرق الأوسط ككل.. المسيحيون يغادرون هذه المنطقة، وهذه علامة استفهام كبيرة، كما أنها أيضًا نداء للمعونة لمساعدة المسيحيين على البقاء فى أوطانهم»!

ـ ونحن نقول: إذا كانت الهجرة المسيحية من الشرق عامة.. حتى فى تركيا ـ الأتاتوركية ـ.. ولبنان ـ العلمانى ـ.. والقدس وبيت لحم ـ تحت الاحتلال الصهيونى ـ.. والعراق ـ فى عهد البعث العلمانى وتحت الاحتلال الأمريكى ـ.. وسوريا ـ تحت حكم البعث العلمانى ـ.. إذا كانت الهجرة المسيحية عامة فى كل هذه البلاد.. والرحيل المسيحى من كل الشرق ظاهرة عامة، رغم انتفاء الأسلمة فى هذه البلاد.. فلم لا يبحث الأنبا توماس ـ وأمثاله ـ عن الأسباب الحقيقية لهذه الهجرة وهذا الرحيل؟!..

وهل من أسبابها التغريب الذى يدفع للنزوح إلى «نعيم الغرب»، وخاصة بعد سقوط نماذج التغريب والتحديث على النمط الغربى؟..

وهل من أسبابها الانفصال عن المشكلات الحقيقية للشرق، وعن التحديات التى فرضت على شعوبه؟.

لقد بدأت الهجرة المسيحية ـ من مصر ـ عقب صدور قوانين الإصلاح الزراعى . . وتمصير الشركات الأجنبية . . وقرارات التأميم ـ فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين ـ لأن الذين هاجروا ورحلوا كانوا مميزين وممتازين من قبل سلطات الاحتلال الإنجليزى والشركات الأجنبية . . فلم يعجبهم العدل النسبى الذى حققته ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م، والذى مس الاستغلال الإقطاعى والرأسمالى والإدارى الذى كان من نصيب الأقلية، وعلى حساب الأغلبية! . .

هكذا كانت البدايات . . والأسباب للهجرة والرحيل! . .

ثم . . إن الطائفية والانعزالية تجعل من المسيحيين ـ الذين سقطوا فى شراكها ـ جاليات أجنبية، تهرب من النضال المفروض على شعوب الشرق إلى الثراء والدعة فى الغرب . . ولعل واقع «الرحيل» ـ رحيل المسيحيين عن الشرق ـ وليس عن مصر وحدها ـ يؤكد هذه الحقيقة . . وفى الجدول الآتى فصل الخطاب عن واقع الرحيل المسيحى حتى من البلاد التى ليس فيها أسلمة ولا تعريب :

الدولة	عدد ـ أو نسبة ـ المسيحيين قبل الآن	عدد ـ أو نسبة ـ المسيحيين الآن	ملاحظات
تركيا	٢,٠٠٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٢٠م=١٥٪	٨٠,٠٠٠ = ١٪	
إيران	٣٠٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٧٩م	١٠٠,٠٠٠	
سوريا	ـــ ٣٣٪ فى سنة ١٩٠٠م	ـــــ ١٠٪	
لبنان	ـــ ٥٥٪ فى سنة ١٩٣٢م	ـــــ أقل من ٣٠٪	حرب ٢٠٠٦م دفعت مليونًا للهجرة
القدس	ـــ ٥٣٪ فى سنة ١٩٢٢م	١٠,٠٠٠ = ٢٪	
بيت لحم	ـــ ٨٥٪ فى سنة ١٩٤٨م	ـــــ ١٢٪	
فلسطين	ـــ ٢٠٪ فى سنة ١٩٤٨م	٦٥,٠٠٠ = ١٠٪	
الضفة الغربية	ـــــــــــ	٥١,٠٠٠	
غزة	ـــــــــــ	٣,٥٠٠	
العراق	١,٢٥٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٧٨م= ٥٪	٧٠٠,٠٠٠ فى سنة ٢٠٠٣م= ٣٪	وبعد الاحتلال هاجر ٣٥٠,٠٠٠ والباقى ٣٥٠,٠٠٠= ١,٥٪
الأردن		١٦٠,٠٠٠ = ٤٪	

أما مصر: فإن نسبة الهجرة بين الشباب المسيحى تزيد عن ٧٠٪ من عدد المهاجرين - مع العلم أن نسبتهم لمجموع السكان هى ٨,٥٪.. و٩٥٪ من تأشيرات «اليانصيب» الأمريكية هى للمسيحيين:

كما أن إحصاءات سنة ٢٠٠٦م تقول: إن جملة مواليد المسيحيين المصريين - فى العام - هى ٥٠,٠٠٠ ومتوسط المتحولين منهم إلى الإسلام - سنويّا - هو من ٤٠,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠[١].

الأمر الذى دفع عددًا من الكتاب والباحثين الأقباط - والأجانب - إلى الاعتراف - ولأول مرة.. وبعد أن كانوا يبالغون فى أعدادهم - بأنهم يواجهون الانقراض خلال القرن الواحد والعشرين.

* لقد كتب الدكتور كمال فريد اسحاق - أستاذ اللغة القبطية - بمعهد الدراسات القبطية - بحثًا عن «انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام» - قال فيه:

«إن نسبة المسيحيين المصريين تقل تدريجيّا، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: الهجرة إلى الخارج.

وثانيها: اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامى.

وثالثها: أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف، على عكس المسلمين.

وإن هؤلاء المسيحيين - لذلك - سينقرضون فى زمن أقصاه مائة عام»[٢].

* وكتب الباحث القبطى سامح فوزى.. يقول:

«إن تعداد المسيحيين فى المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر مليونًا.. ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام ٢٠٢٠م، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين، وهكذا تصبح المنطقة العربية

(١) انظر - فى هذه الإحصاءات - صحيفة [الحياة] - لندن - دراسة: أحمد دياب - بعنوان «هل يخلو الشرق الأوسط من مسيحييه؟» فى ١١ - ٦ - ٢٠٠٨م. وانظر - كذلك - د. رضوان السيد [الحياة] فى ١٨ - ٣ - ٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة «المصرى اليوم» فى ١٢ - ٥ - ٢٠٠٧م.

على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الدينى، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان..

وتشير الدراسات إلى أن تعداد المسيحيين فى تركيا كان مليونى نسمة سنة ١٩٢٠م ولقد تناقص الآن إلى بضعة آلاف.. وفى سوريا كان تعداد المسيحيين فى بداية القرن العشرين ثلث السكان.. ولقد تناقص الآن إلى أقل من ١٠٪.. وفى لبنان كان المسيحيون يشكلون سنة ١٩٣٢م ما يقرب من ٥٥٪ من السكان.. ولقد أصبح عددهم الآن يدور حول ٣٠٪.. وفى العراق تناقص عدد المسيحيين من ٨٠٠,٠٠٠ ـ على عهد صدام حسين ـ إلى بضعة آلاف بعد الاحتلال الأمريكى. وفى القدس.. قال الأمير الحسن بن طلال: إنه يوجد فى «سيدنى» ـ باستراليا ـ مسيحيون من القدس أكثر من المسيحيين الذين لا يزالون يعيشون فى القدس!»[1].

والملاحظ أن كل البلاد التى تحدث سامح فوزى عن رحيل المسيحيين منها، ليس فى أىّ منها أى لون من ألوان «الأسلمة» على الإطلاق!..

* أما مجلة «نيوزويك» ـ الأمريكية ـ فلقد نشرت:

«إن الكثيرين من المسيحيين المصريين يرحلون عن مصر، وهناك الآن ما بين ١٢ و١٥ مليون مسيحى عربى فى الشرق الأوسط، ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط يحلول عام ٢٠٢٥م.

ولقد بدأت دول الشرق الأوسط تشهد تحولاً ملحوظًا من هذه الناحية: ففى سنة ١٩٥٦م كان المسيحيون اللبنانيون يمثلون ٥٦٪ من مجموع سكان لبنان، أما الآن فليس هناك أكثر من ٣٠٪. وقد انخفض عدد المسيحيين فى العراق من ١,٤ مليون شخص سنة ١٩٨٧م إلى ٦٠٠,٠٠٠ حاليًا. وكانت مدينة بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح مدينة ٨٠٪ من سكانها مسيحيون حين تأسست دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، أما الآن فلا يمثل المسيحيون فيها أكثر من ١٦٪.

وحسب «دروكريستيانس» ـ رئيس تحرير «مجلة أمريكا» ـ فإنه فى ظل هذا الرحيل الجماعى للمسيحيين العرب يتم فقدان الممارسات والثقافات القديمة. والمسيحيون

(١) سامح فوزى ـ صحيفة (وطنى) ـ مقال بعنوان «ماذا لو رحل المسيحيون؟» فى ٢٧ ـ ٥ ـ ٢٠٠٧م.

الشرق أوسطيون فى نهاية المطاف يخاطرون بالامتزاج فى بحر المسيحية الغربية»![1].

ونحن نلاحظ ـ مرة ثانية ـ أن البلاد التى تحدثت «نيوزويك» عن «الرحيل الجماعى» للمسيحيين عنها ـ لا علاقة لأىّ منها بأى لون من ألوان الأسلمة ـ التى تحدث عنها الأنبا توماس، باعتبارها الغول الذى يهدد المسيحية الشرقية، ويدفع المسيحيين الشرقيين إلى الرحيل!..

لكنه التعصب الأعمى، الذى يعمى المصابين به عن اكتشاف وتشخيص حقيقة الأمراض التى منها يعانون!..

* ولقد كتب الصحفى المسيحى «مايكل فارس» ـ فى صحيفة [صوت الأمة] ـ المصرية ـ بتاريخ ١ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٨م كلاما خطيراً عن تصاعد معدلات الهجرة القبطية من مصر.. وكان عنوان المقال: [٧٠٠ ألف قبطى تقدموا بطلبات الرحيل: الكنائس تحولت إلى مراكز للهجرة، تتلقى طلبات الشباب وتعلمهم اللغات بأسعار رمزية]..

وتحدث الكاتب عن «وجود مركز فى كل كنيسة مهمته تلقى طلبات الهجرة بأجر رمزى أو دون مقابل للشباب.. ويتزايد الإقبال خلال الشهور من أكتوبر وحتى ديسمبر كل عام، وتأتى استراليا وكندا فى مقدمة الدول المستهدفة..

ولقد أرجع الشباب ـ الراغبون فى الهجرة ـ تقدمهم بطلباتهم عن طريق الكنائس لثقتهم فى **المؤسسة الدينية وصورتها المقبولة فى الخارج، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م»**[2].

هكذا ـ مع الأسف ـ يتم الرحيل، كثمرة للمشروع الطائفى العنصرى المجنون ـ الذى عزل الأقباط.. وأحاطهم بالكراهية والشكوك ـ بعد استقوائهم بالخارج المعادى ـ.. يحدث كل ذلك فى ظل **«المؤسسة الدينية التى أصبحت صورتها مقبولة فى الخارج، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م»!!!**

فإذا كان ربع الأقباط ـ تقريبًا ـ يهرولون للرحيل ـ فى عام واحد ـ فهل نحن بإزاء «سفر ـ جديد ـ للخروج»؟!

---

(١) «نيوزويك» ـ الطبعة العربية ـ فى ١٥ ـ ١ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) «صوت الأمة» ـ القاهرة ـ فى ١ ـ ١٢ ـ ٢٠٠٨م.